الاقليات السود من العبودية الى الرئاسة

نموذج أوباما

الدكتور البير رحمة

مجلة الحقوق والعلوم السياسية - العدد العاشر- 2016/4

مقدمة

ان النضال السياسي للأقليات في كل المجتمعات يشكل أحد الثوابت الأساسية لأن 90% من دول العالم مكوناً من مجتمعات متعددة [1]. بالرغم من تخطي الكثير منها مشكلة التعددية ، إلا ان التفرقة ما زالت قائمة على أساس العرق أو الدين أو الاتنية وغيرها ، تعود من وقتٍ الى آخر وأبرزها ما يحصل في الشرق الأوسط وافريقيا وسائر القارات ، ومنها احتاجات السود في

[1]- Georges , Pierre _ "Que sais – je" , Géopolitique des minorités -– presse universitaire de France 1984, p. 51

دالاس - اميركا ، أوائل تموز 2016 فشغلت الرأي العام الاميركي ودفعت الرئيس باراك اوباما للدعوة الى تطهير الجهازالأمني [1] .

إن هذا الحدث وبالرغم من عدم تأثيره على الأمن الاميركي ؛ لكنه مثالٌ مصغرٌ للقول : ان الاقليات السود الاميركية التي عانت عبر التاريخ ، وناضلت في سبيل الوصول الى حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على حد سواء ، مازالت تناضل من أجل ذلك حتى اليوم . إذ يمكن اعتبار ظاهرة الرئيس الحالي باراك أوباما جزءاً من نضالات متلاحقة من قبل العرق الاسود في أميركا بشكل عام ، لارتباطها بوصوله للرئاسة - رغم الرأي السائد والذي يعتبر بأنها نتيجة لإعتماد النظام الاميركي مبدأ الديمقراطية والليبرالية الى أقصى الحدود - لأن الرئيس الحالي ، باراك أوباما ، رئيس أسود دخل البيت الأبيض، فكسر القاعدة التي كانت سائدة في أميركا منذ مئتي عام تقريباً. اكتسب ثقة الشعب الأميركي ، سيما عنصرالشباب منه دون أن يُسقط من ذاكرته ، لا خطاب مارتن لوثر كينغ "لدي حلم"ولا مسيرة المناضل ابراهام لنكولن، الذي ربما مهّد له الوصول الى البيت الأبيض.

تحقق حلم السود - أي حلم لوثر كينغ - لأنه عرف المشاكل التي تعاني منها أميركا لا سيما الاقتصاد الذي يئن تحت وطأة الركود الذي سببته الحروب في فيتنام ،العراق وأفغانستان، فأضحى الشعب في مأزق ، ربما لأن بوش الابن أدخل أميركا في متاهات دون أن يحدد الخسائر التي مُنيت بها دولته ؟

والسؤال المطروح هنا: كيف ، مهّد الرئيس أوباما طريقه الى البيت الأبيض ، في وقت تزايدت التساؤلات حول وضعية الولايات المتحدة الأميركية في العراق وأفغانستان ، مع حقيقة موقفها حيال الطموحات النووية الايرانية والقوة المتصاعدة للصين وبالتالي كيف لها أن تتعاطى مع قضية الانحباس الحراري العالمي ومحاربة الارهاب؟ بالاضافة الى مشاكلها الاقتصادية الداخلية في تلك المرحلة . فالاشكالية المطروحة إزاء وصول أوباما الى البيت الابيض في هذه الحقبة، مع تعقيداتها وتشعباتها ، تكمن في العامل الاساسي الذي أدى الى تبوء رجلٌ أسود سدة الرئاسة ، هل هو نضال الاقليات السود ،أم الكفاءة الفردية ، أم ذهنية الشعب الاميركي ، أم النظام الليبرالي المعتمد في اميركا ؟ وبمعنى آخر ، هل يمكن لأي مشروع سياسي او نضالي ان ينتهج طريقة تَكتب له النجاح بمعزلٍ عن الشخص الكفوء وعن النظام الملائم لتركيبة الشعب ؟

[1] - كتبت عن هذه الأحداث كل وسائل الآعلام في العالم ومنها على موقع " اليوم السابع" الجمعة 8 تموز 2016 :www.youm7.com

وهناك تساؤل آخر يُطرح ، هل تحقق ذلك بفضل نجاحات شعب له ما يميزه ، أم بنجاح فرد طموح ؟

إن طرح هذه الاشكالية يسوق الى الفرضيات التالية :

- نضال السود هو الدافع الاساسي للوصول الى السلطة .
- شخصية اوباما وثقافته ونضاله هي الركن الاساس في نجاحه وتفوّقه ، وتحقيق حلم السود.
- ذهنية او ثقافة الشعب الاميركي وانفتاحه ساهم في حصول الاقليات على حقوقها .
- ان الدور الاكبر كان للديمقراطية والليبرالية المعتمدة في النظام الاميركي .

لمعالجه هذه الاشكالية على نسق تلك الفرضيات ، تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم عامةً على عمليّاتٍ ثلاث: التّفسير، والنّقد، والاستنباط ، وقد تجتمع هذه العمليّاتُ كلّها في سياق بحثٍ معيّن، أو قد يُكتفى ببعضها ، وذلك بحسب طبيعة البحث. ويقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم بها، واستخلاص النتائج لتعميمها. ويشمل المنهج الوصفي أكثر من طريقة منها في هذا البحث:
- طريقة الحالة Case method: تتضمن هذه الطريقة دراسة حالة واحدة أو بضع حالات دراسة معمّقة مع تحليل كل عامل من العوامل المؤثرة والإهتمام بكل شيء عن الحالة المدروسة. وتستخدم في بحثتنا هذا ، طريقة الحالة بمفردها ، حيث طُبقت على الرئيس اوباما لمعرفة مدى الأثر الشخصي اوالنضالى او طبيعة النظام للوصول الى السلطة ، بصرف النظر عن مدى نجاحه في قيادة اميركا لاحقاً ، حيث لا مجال لذلك في هذا البحث .

لقد إعترض هذا البحث بعض الصعوبات الناتجة عن عدم التمكّن من المعرفة الدقيقة للخلفيات الحقيقية الكامنة وراء هذه الحالة (خلفيات الجماعات الضاغطة في اميركا) التي تؤثر على طبيعة النظام والتعددية والتطور السياسي والاجتماعي لناحية معاملة الاقليات وخاصة منها العرق الاسود ، كما يبدو ان طبيعة النضال السياسي في هذه الدولة يختلف عمّا هو في دول اخرى ، أقلّه لناحية الذهنية الشعبية في تقبّل الآخر المختلف . بعد ذلك ينبغي معرفة الظروف المحيطة ، ومقومات الشخص المسؤول ،من ناحية كفاءته وشخصيتة والتقنية السياسية "الخطاب السياسي" التي اعتمدها بغية الوصول الى المطلوب ، فأثار المواضيع الأكثر وقعاً على الشعب الأميركي لا سيما منها : حرب العراق وأفغانستان، الشأن النووي والبيئة، الارهاب، العلاقة بين الأديان، كيفية التوجه الى العالم، الى الفقراء، الى الأمم الغنية، الى الأميركيين خاصة . لذلك تمت معالجة البحث في قسمين رئيسيين ، الاول يدور حول النظام

الاميركي ، ووضع الأقليات ، والثاني يتطرق للمقومات الذاتية والشخصية للرئيس اوباما ، والطرق التي انتهجها في مسيرته للوصول الى السلطة .

تكمن الأهمية العلمية في التركيز على مدى التأثير الشخصي - الذاتي او الاجتماعي - في المنظومة السياسية والعمل السياسي لتوسيع مدارك علم السياسة لناحية لعبة السلطة والطرق السلمية التي تسهم بوصول القادة الى سدة المسؤولية بنجاح ، دون استعمال القوة والعنف والرشوه وغير ذلك .

اما الأهمية العملية فتتجلى في معرفة جدارة او خطّة الفرد (الرئيس اوباما هو المثال هنا) في استعمال الطرق المقبولة لبلوغ السلطة ، ومدى اسهام مجتمعه او بيئته الخاصة اي مجتمع السود او الاقليات او المجتمع الاميركي ، للمساعدة على تحقيق الهدف المقصود بنجاحٍ وجدارة .

القسم الاول : طبيعة النظام السياسي الاميركي والاقليات

منذ بداية الولايات المتحدة الاميركية ، تأسس النظام السياسي بطريقة دقيقة وواضحة، حيث خصص المؤسسون الأوائل لها سنوات عدة في مناقشة الدستور ووضع بنوده، فكانت الفترة ما بين إعلان الإستقلال عن الإستعمار البريطاني، وإنتخاب أول رئيس أميركي، جورج واشنطن، حوالي ثلاثة عشر عاماً (1776-1789)، حيث انقضت هذه الفترة وسط مناقشات ساخنة حول كيفية تركيب البنية السياسية لإتحاد الولايات الثلاث عشرة آنذاك، وانتهت تلك المداولات بكتابة دستور قصير جداً في نصه (حوالي 28 صفحة من القطع الصغير، بحجم صفحات قاموس الجيب)، لكن القيمة في أن هذا الدستور ما زال في أوج مجده بعد أكثر من قرنين من صياغته، ولم يعدّل إلا بعض بنوده الأقل أهمية، مع إستمرار البنود الجوهرية ، مثل حرية التعبير وحرية إختيار الدين ، إذ لا يجوز للكونغرس أن يشرّع لمصلحة ديانة بعينها، أو ان يمنع أي ممارسة دينية مهما كان نوعها، أو التضييق على حرية التعبير اوالصحافة، أو حرية الشعب في التجمعات السلمية، أو حقهم في تقديم شكواهم للحكومة ضد ما يرونه ضاراً بهم [1] . أن الدستور في الولايات المتّحدة الأميركيّة يشير بوضوح الى ديمقراطية الدولة ، بمعنى حكم الشعب لنفسه

[1] - عدل الدستور لأول مرة سنة 1791 بإضافة عشر مواد سميت)) وثيقة الحقوق Bill of rights ((وتتضمن هذه المواد على انه لا يحق لمجلس الشيوخ سن قوانين تفرض اتباع دين معين، وتمنع حرية النقد حديثا أو كتابة أو تحد من حرية الصحافة أو تمنع التجمعات الشعبية للتعبير عن مطالبهم. ولا يحق لمجلس الشيوخ أيضا سن قانون يمنع المواطنين من حمل السلاح أو اقتناءه أو بيعه، أو شراءه. ولا يحق لاحد ممثلي الدولة أو الجيش دخول بيت مواطن الا بموافقة المالك، ولايحق للدولة البحث في اوراق أو ممتلكات المواطنين ولايحق اخذ اموال الافراد العقارية بدون تعويض مقبول من المواطنين. وفي حالة ارتكاب جريمة فللمجرم الحق في الإسراع لمحاكمته، وله الحق في أن يعرف الجرم الذي ارتكبه أو المخالفة التي قام بها، وله الحق في مقابلة الشهود الذين يشهدون ضده وسماع اقوالهم، وله الحق في الحصول على شهود لمصلحته وله الحق في تعيين مجلس قضائي يدافع عنه .

الى حدٍ معين ، حيث يقوم المواطنون بالتصويت على كافة الشؤون من قوانين وقرارات مصيرية. لأنّ واضعي هذا الدستور اختاروا الديمقراطية الجمهورية على مر السنين ، وإذا كان تأليف السلطة السياسية في النهاية حق من حقوق الشعب، إلّا أنّ طريقة اتّخاذ القرارات وتنظيم شؤون الأمة تفوّض إلى ممثلين عن الشعب، الذي يقوم باختيارهم من خلال الانتخابات. يشير النظام الفيدرالي في أميركا إلى تقسيم ومشاركة السلطة بين الحكومة القومية وحكومة المحافظات -الولايات- والنظام الفدرالي الأميركي هو خليط من حقوق الولايات وأحقية السلطة القومية، وهنا يتّضح أنّ نظام الحكم في الولايات المتّحدة هو جمهوري اتّحاديّ فدراليّ[1].

يحكم الولايات المتحدة منذ زمن بعيد نظام الحزبين في أغلب الأحيان. تدار الانتخابات التمهيدية من قبل الدولة لاختيار المرشحين للانتخابات العامة التالية. منذ الانتخابات العامة التي جرت في العام 1856، أصبح الحزب الديمقراطي الذي تأسس في عام 1824، والحزب الجمهوري الذي تأسس في عام 1854 حزبين رئيسيين. منذ الحرب الاهلية . يعد ثيودور روزفلت هو المرشح الوحيد من حزب ثالث (الحزب التقدمي) والذي فاز بعشرين في المئة من الأصوات الشعبية. ولكن في الغالب يأتي الرئيس من كنف الحزبين الرئيسيين المذكورين ، وذلك يعني ان هناك أقليات ما أمكنها المشاركة الفعلية في السلطة خلال حقبات زمنية طويلة ، فما هو وضع هذه الأقليات واقعياً في اميركا .

البند الأول : الاقليات في الولايات المتحدة الأميركية

إن الولايات المتحدة الأميركية ، هي دولة حديثة الوجود نسبة إلى سواها من الدول التي تُعد ذات أنظمة سياسية متقدمة ومستقرة ، نالت استقلالها في 4 تموز 1776 ، وهي مؤلفة من عدة شعوب وأتنيات أوروبية ، وشعوب أصلية هم السود او الهنود الأميركيون (هندو أميركيين) ، الذين يشكلون الأقلية المميزة في الولايات المتحدة . بحيث يُقارب عددهم 26,5 مليون نسمة أي ما يقارب 11,5 % من مجموع السكان[2] ، وهناك 3 % من الشعب الأميركي ينتمي إلى أقليات متعددة[3].

---

[1] - عن الدستور الأميركي مع جميع تعديلاته ، الموسوعة العربية للدساتير العالمية لجمهورية العربية المتحدة ،الأدارة العامة للتشريع والفتوى .

[2] - Gurr, Ted Robert - Minorités Atrisk أقليات في خطر ، تعريب مجدي عبد الحكيم - سامية الشامي ، مكتبة مدبولي ص. 182

[3]- **Yakoub, Joseph , les minorités dans le monde , deselée de brouwer, paris, 1998** _ p.764

فالأقليات الهندوأميركية تعيش في مناطق خاصة بها في ثمانٍ وأربعين ولاية أميركية ، وهم بالتالي غير مؤهلين للخدمات الكثيفة التي يقدمها إليهم المكتب الفدرالي لشؤون الهنود ، ومعدلات البطالة مرتفعة عندهم ، مع مداخيل منخفضة ومستويات متدنية من التعليم ومعدلات عالية من الجريمة العنفية والسجون ، وكذلك معدلات عالية من الأمراض الخطيرة وإدمان الخمور[1] رغم اهتمام الحكومات الأميركية بهذه الأقليات منذ ولادة الدستور في الولايات المتحدة الأميركية (U S A) حتى اليوم . ففي العام 1791 نص الدستور في مادته الأُولى على حرية المعتقد والتعبير والمساواة بين الشعوب. وكرر ذلك دستور عام 1868 في نصه عن الحقوق المدنية للمواطن (CiviLs rights) ، وشدّدت حكومة الرئيس الأميركي السابق جون كيندي عام 1964، على عدم التمييز العنصري[2] ، وفي العام 1970 كانت الأولوية لضمان حقوق الأقليات على كل المستويات، مع وضع برامج لمساعدتها وتنميتها اجتماعياً ، ثقافياً (لحماية لغات الأقليات) اقتصادياً ، لا سيما منها غير الممثلة لدى السلطة تمثيلاً عادلاً (السود ، الإسبان ، الهنود الأميركيين ، المعوقين ، النساء) من أجل تشجيعها لدخول الجامعات والتعلّم والعمل في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وأكمل ذلك الرئيس الأميركي السابق بل كلينتون عام 1997 حين أصدر قانوناً ، يُحرِّم التمييز العنصري في الدخول إلى الجامعات وفي العمل السياسي والشؤون العامة[3] . وكان قبله ، الرئيس الأسبق نيكسون الذي بدأ العمل بحق تقرير المصير السياسي للقبائل ، فأصبحت قبيلة النافاهو، على سبيل المثال ، التي هي واحدة من أكبر القبائل ، أمة مستقلة ذاتياً داخل حدود الولايات المتحدة، لها مجلسها التمثيلي ، ونظامها الإداري ومدارسها الخاصة وكلياتها ومعاهدها مع قوة بوليسية خاصة .

كل هذا أتى نتيجة نضال هذه الأقليات والقبائل للوصول إلى حماية استقلالها الذاتي. فكان من أهم تجمعاتهم " المؤتمر القومي للهنود الأميركيين " الذي تأسس عام 1970 و"المجلس القومي للشباب الهندي " 1961 و" حركة الهنود الأميركيين " 1969 ، قامت هذه الجمعيات بسلسلة

---

[1] -Gurr, Ted Robert - Minorités Atrisk أقليات في خطر ، المرجع ذاته ص. 182 .

[2] - أسرار ربما كانت سياسة الرئيس الأسبق جون كينيدي هذه ضد التمييز العنصري إحدى الأسباب التي ساهمت في مقتله، بحسب رأي المرجع : البيت الأبيض في عهد الرئيس جون كينيدي - ترجمة جورج أعرج ، المركز اللبناني للكتاب - انطلياس 1987 ، ص 93 وما بعدها .

[3] -عن الدستور الأميركي مع جميع تعديلاته ، الموسوعة العربية للدساتير العالمية لجمهورية العربية المتحدة ،الأدارة العامة للتشريع والفتوى .

من الاحتجاجات العنفية الدرامية وصلت ذروتها إلى احتلال قرية اسمها داكوتا[1] . كما يؤدي التوتر بين المجموعات الأتنية إلى اضطرابات دموية ومظاهرات رغم كل الإصلاحات والتوجهات السياسية المتلاحقة من أجل إنصافها،"كالتي حصلت في ميامي ولوس انجلوس العام 1944 "[2] .

إن هذه المطالبات المتلاحقة من قبل الأقليات الأميركية بالاستقلال الذاتي ، أو بحقوق سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية ولغوية وغيرها ، ضمن الدولة التي تُعتبر منصفة بحقهم (نسبةً الى وضع الأقليات في دول أخرى) ، بما أنجزته من قوانين وأنظمة وبرامج ، تسهم بشكل إيجابي في إعطاء هذه الأقليات حقوقها المختلفة بفضل ما يوصف بـ " الروح التعاونية بين المواطنين في الولايات المتحدة "[3] الذين يعملون على حسن تطبيق القوانين في هذا المجتمع . لكن هذه المطالب السياسية المتكررة من قبل الأقليات- بالرغم من وجود الرئيس باراك اوباما - تعني ، أنها لسبب أو لآخر لا تزال حتى اليوم إما غير منصفة الى حدٍ ما، أو أن التطور والرقي وغيره ،لا يثنيها عن المجاهرة بحقوقها في الحرية والمساواة كما تريدها ، وليس كما يشاء لها المجتمع والدولة ، فالعدالة بنظرها ، ما ترتئيه هي بنفسها وليس ما يُفرض عليها حتى ولو بشكل ديمقراطي او حضاري .

البند الثاني : الاقليات السود والفرص الملائمة

هناك عوامل وتطورات مهمة حصلت في اميركا أدّت الى الاعتراف بالاقليات الاميركية فانعكس ذلك إيجاباً عليها ، وتتلخص بالتالي :

1- ثقافة الشعب الاميركي

إن الولايات المتحدة الأميركية هي بلد المتناقضات، لأنها مجتمع من المهاجرين المتعددي الأعراق والإثنيات والثقافات، من المستوطنين البريطانيين البروتستانت والفرونكوفونيين وغيرهم ، الذين توافدوا إلى العالم الجديد من أوروبا وخاصة بريطانيا وفرنسا وسائر الدول لكي يستقروا فيه، اضافة الى الشعوب الاصلية الاميركية . فمن جهة نظامها رأسمالي فهو لا

---

[1] - Gurr ,Ted Robert _ Ibid _ p. 182

[2] - د. رعد ، غسان ، النزاعات الاتنية في الدول التعددية ، دار صادر ، بيروت 1997، ص. 160 .

[3]- هوريو اندريه ، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية الجزء الأول ،الأهلية للنشر والتوزيع ، ص.435 .

يؤمن إلا بالنجاح المادي في الحياة وجمع الثروات؛ ولكنها بلد الحرية الفردية الذي يترك للمواهب فرصة أن تتفتح وتعطي أفضل ما عندها. ربما لهذا السبب تفوقت أميركا على جميع دول العالم لفترة طويلة[1].

2 - من لنكولن الى أوباما (محطات الشعب الأسود)

وصلت طلائع السود إلى مستعمرة جيمس تاون الانكليزية في ولاية فيرجينيا العام 1619للعمل كخدم بعقود موثقة فتتابعت المراحل بشأنهم على الشكل التالي [2] :
1700: ترسيخ العبودية في الجنوب لاسيما من خلال مستعمرات تقوم على زراعة مساحات شاسعة من التبغ . وبقي عدد محدود من العبيد في الشمال.

1787: معاهدة الدستور ووصول 13 ولاية إلى طريق مسدود بشأن العبودية حتى الوصول إلى حل وسط يقضي باعتبار العبد ثلاثة أخماس شخص بالنسبة لكل من الضرائب والتمثيل في الكونغرس .

1854: قانون كنساس- نبراسكا يسمح لكل إقليم جديد بحسم مسألة العبيد ويسلّط الضوء على التوترات السياسية بين الشمال والجنوب. الاضطرابات الدموية بين القوى الموالية والمناهضة للعبودية تخمد في كنساس في فترة 1854 -1858 .
1857: في قضية رفعها دريد سكوت وهو عبد يسعى للانعتاق بعدما عاش مع مالكه في ولايات حرة تقضي المحكمة العليا بأن العبيد الذين انتقلوا إلى ولايات حرة يظلوا في ملكية أسيادهم .
1860 : ابراهام لنكولن مرشح الحزب الجمهوري الجديد المؤيد لإلغاء الرق يفوز في الانتخابات الرئاسية. وقبل تولي لنكولن الحكم في آذار من العام 1861 شكل الجنوبيون حكومة كونفيدرالية وبدأوا انفصالاً ضم في نهاية المطاف 11 ولاية .
1861-1865 : اندلاع الحرب الأهلية الأميركية بين اتحاد لنكولن والكونفيدرالية . تعرض الجنوب للدمار ومقتل 620 ألفاً من الجانبين .
1863 : بدء سريان إعلان الانتهاء من الرق للرئيس لنكولن وإعلان العبيد أحرار في دولة كونفيدرالية ويؤذن بنهاية رمزية للعبودية .
1865 : بعد مرور خمسة أيام على نهاية الحرب الأهلية أُصيب لنكولن إصابة قاتلة على يد قاتل أثناء مباراة في واشنطن .
1865 :تبني التعديل الـ 13 على الدستور الأميركي الذي يحظر "العبودية اللاطوعية" .

[1]- ألبانيز ، كاترين ، جمهورية العقل والروح : تاريخ ثقافي للدين الميتافيزيقي الأميركي ، مطبعة بيل 2007 .

[2] -هذه المراحل بالاستناد الى:عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين،تاريخ الولايات المتحدة الاميركية ، دار الفكر العربي، 1999

1868: التعديل الـ 14 يجعل العبيد السابقين مواطنين كاملي الأهلية. التعديل يكفل ضمانات وحقوق حماية متساوية ويحظر على الولايات إنكار حقوق المواطنة .
1870: تكفل المادة 15من الدستور للمواطنين الحق في التصويت بصرف النظر عن "اللون أو الجنس أو سابق العبودية" .
1877 : انتهاء حقبة إعادة البناء وإزالة آخر معاقل السيطرة العسكرية الشمالية. ومنها إنكار حق السود في التصويت وفي الحقوق المدنية الأساسية في الولايات الجنوبية كما وتعرضهم للترويع على يد جماعات سرية بيضاء .

1896: تطبيق قوانين فصل الخدمات العامة مثل المدارس ووسائل النقل. ومنع انتشار الترويع العنصري والإعدام من غير محاكمة والعنف على نطاق أوسع . وذلك في ولايات العبودية السابقة .

1909 : تأسيس الجمعية الوطنية لتقدم الملوّنين .
1910 – 1950: انتقال ما يقدر بنحو 5 ملايين من الأميركيين من أصل أفريقي من الجنوب إلى الشمال والغرب الأوسط والغرب بحثاً عن الوظائف والتعليم ومزيد من تساوي الفرص .

1955: رفض المواطنة روزا باركس في مونتغمري في ولاية الاباما ،التخلي عن مقعدها في الحافلة لراكب أبيض. تنجح بعدها حملة مقاطعة لهذه الشركة من جانب مجتمع الاميركيين السود تستمر لمدة عام بقيادة قس محلي ،هو مارتن لوثر كينغ .

1963: في خضم حركة متصاعدة للحقوق المدنية ألقى كينغ خطاباً في حشد من 250 ألف شخص عند نصب لنكولن في واشنطن يعلن فيه " لدي حلم ".

1964 : بعد معارك مطولة في الكونغرس وقّع الرئيس ليندون جونسون قانوناً للحقوق المدنية، وهو أوسع قانون للحقوق المدنية على مدى نحو قرن من الزمن لمنع التمييز في الخدمات العامة والتوظيف .
1965 : مهاجمة الشرطة جمع سُلمي يشارك في مسيرة للحقوق المدنية في سيلما في ولاية الاباما في حدث يدخل التاريخ بوصفه " الأحد الدامي ."
1965 : تمرير الكونغرس قانون حقوق التصويت لإزالة العقبات التي تحول دون قيام من يحق لهم التصويت بممارسة حقوقهم .
1968 : اغتيال مارتن لوثر كينغ 39 عاماً. بعدها بأسبوع تحول مشروع قانون الإسكان العادل لعام 1968 الذي يحظّر التمييز في مجال الإسكان إلى قانون .
1984 : حلول قس أميركي من أصل أفريقي وناشط اجتماعي يدعي جيسي جاكسون في

المركز الثاني في ترشيحات الحزب الديمقراطي. يكرر جاكسون المحاولة مرة أخرى العام 1988 لكنه يخفق مجدداً .

وعليه ، فان وصول أوباما باراك حسين أوباما المولود في جزر هاواي من سيدة بيضاء وطالب كيني، يؤدي اليمين الدستورية بوصفه الرئيس الـ 44 للولايات المتحدة الى الرئاسة الأميركية ما هو إلا خاتمة لنضال الأميركيين السود الذي بدأ منذ ذاك التاريخ ، أي منذ أن ساهم رجال الدين البروتستانت السود وأبرزهم مارتن لوثر كينغ Martin Luther King مساهمة كبيرة في اطلاق حركة الحقوق المدنية الداعية الى المساواة الفعلية. فمن امرأة سوداء رفضت التراجع الى المقاعد الخلفية المخصصة للسود في حافلة النقل ، والتي فجّرت غضباً عارماً،وحركة احتجاج بدأت بمقاطعة وسائل النقل العامة آنذاك ، الى الرجل الذي يسكن اليوم في البيت الأبيض مع سيدة أولى سوداء تجلس في المقاعد الأمامية في شتى المناسبات[1] ، وشتان ما بين الأمس البعيد واليوم ، الأمر الذي يدل على أهمية وصول أوباما الى هذا المنصب في الولايات المتحدة الأميركية – الدولة العظمى في العالم.

القسم الثاني :العوامل السياسية ـ الشخصية وتحقيق الحلم

هناك عوامل ومقومات شخصية تمتّع بها اوباما أسهمت في تبوئه سدّة المسؤولية الاولى في الولايات المتحدة الاميركية ، وتقتصر على محطتين أساسيتن .

البند الأول : محطات أساسية في حياته وعوامل نجاحه

هناك عوامل نجاح بنيوية ومحطات سياسية أساسية هيأت لبنجاح اوباما في مسيرته الرئاسية ينبغي أخذها بالاعتبار .

1ـ محطات سياسية أساسية في حياته

[1] - أوباما ، باراك، جرأة الأمل 2008 .

منذ أن أصبح أوباما خامس سناتور أسود في تاريخ مجلس الشيوخ، اقترن عمله بسجل ليبرالي يعطي الناخب الأميركي الأمل في قدرته على تصور مختلف عن توجهات الإدارة السابقة.
فمنذ أن انضم لعضوية المجلس، أظهر استعداده للعمل مع زملائه من الحزب الجمهوري بعيداً عن التشنج الحزبي، عمل بمعاونتهم لتمرير قانون حظر قبول أعضاء الكونغرس هدايا من جماعات الضغط السياسي أو اللوبي(اللوبي الاسرائيلي له تأثير قوي في المعادلة السياسية الأميركية) للتأثير في مواقفهم من القضايا الوطنية، وقانون الكشف عن مصادر تمويل الحملات الانتخابية ومكافحة محاولات التأثير في توجهات الناخبين [1].
كما طرح العديد من مشاريع قوانين تتعلق بتأمين الحدود ومكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل الى المطالبة بالانسحاب التدريجي من العراق . والمبادرات الخاصة بالطاقة المتجددة وحماية البيئة وتوفير الرعاية الصحية [2]...

طرح أوباما استراتيجية لمنهجه في التغيير سواء في السياسة المحلية أو الخارجية[3]، الأمر الذي جعل الشعب الأميركي بكل فئاته الدينية والعلمانية، المسيحية والاسلامية والأقليات يتوجهون الى انتخابه .

اما لناحية الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي، فتعهّد بأن يعطيه أولوية قصوى لكي يتمّ التوصل إلى حل نهائي يضمن إقامة دولة فلسطينية مستقلة تعيش في سلام مع إسرائيل مع ضمان حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها والحفاظ على العلاقة الخاصة معها باعتبارها أقوى حليف للولايات المتحدة ومواصلة المساعدات العسكرية والاقتصادية لها[4].

2 - عوامل النجاح

[1] -ميرشايمروستيفن، جون ووالت، اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية،ترجمة أنطوان باسيل ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية 2009 .

[2] - The Audacity of Hope, Thoughts on Reclaiming the American Dream (Vintage) Mass Market Paperback, July 15, 2008 by Barack Obama

[3] - Tumulty, Karen (May 8, 2008). "The Five Mistakes Clinton Made". *Time*, November 11, 200

[4] - "Top U.S. Commander in Afghanistan Is Fired". *The Washington Post*. May 12, 2009

بالإضافة الى المحطات الأساسية التي هيّأت لنجاح اوباما ، هناك عدّة عوامل شكّلت حافزاً مهماً في متابعة هذا النجاح ومنها :

أ - أدرك اللحظة التاريخية

لم يفز أوباما لأنه أدار حملة انتخابية جيدة فقط ، لكن الأهم إدراكه حاجة الأميركيين إلى الخروج من الأزمة الاقتصادية التي تفوق رغبتهم في ألاّ يحكمهم رجل غير أبيض . أدرك أوباما أن أميركا والعالم يكره استمرار المحافظين الجدد أو من يساندهم في حكم العالم من قبل الولايات المتحدة الأميركية ، وأنه آن الأوان للتخلص من عشاق العنف والحروب واضطهاد الآخرين[1].

ب - راهن على المستقبل

لم يراهن أوباما على الماضي، وأحلام العظمة الأميركية في سيادة الكون، ولم يرتبط كثيراً بمشكلات الحاضر في حملته الانتخابية لأنه عرف أنها مستعصية على الحل في ظل إدارة من المحافظين الجدد، لكنه راهن على المستقبل، وتحدث إلى الشعب الأميركي عن "أميركا غداً" وليس عن "أميركا اليوم"، ووجّه خطابه إلى العالم كذلك وليس إلى أميركا وحدها ليحاول إقناع الجميع أنه قادر على تغيير وجه أميركا الأمس وأميركا اليوم أيضاً [2]. هكذا نجح في إقناع الشعب الأميركي خلال جولاته الانتخابية .

ج- أدرك نهاية عصر فيتنام

كان عصر فيتنام هو العامل الأكثر تأثيراً في حياة الرؤساء الأميركيين حتى انتخاب باراك أوباما. كان المرشح الرئاسي الأميركي يعاني دائماً من عقدة فيتنام، ومن القتال الخاسر في تلك البلاد، ومن الصدمة الأخلاقية والاجتماعية التي عانت منها أميركا بعد هزيمة فيتنام، وحتى المرشح المنافس لباراك أوباما، كان أيضاً أسيراً لعصر فيتنام.

د- تفهّم تغيّر الواقع الأميركي الدولي

[1] - Jamet , Dominique , I have a dream , ces discours qui ont change le monde L'Archipel, 2008 .18

[2] - خطاب-أوباما-واقع-وحقائق-العام-الأخير-https://arabic.rt.com/prg/telecast/807296

فهم أوباما بوضوح أن عصر الاستعمار الأميركي للعالم يوشك أن ينتهي، وأن الأحادية القطبية الأميركية إلى زوال، وأن أميركا في عالم الغد لن تكون القوة العظمى الوحيدة، لكنها ستشارك دولاً أخرى متعددة وليست أوروبية فقط – كما كان حال القرن العشرين – في حكم وإدارة شؤون العالم[1].

أدرك أوباما كما يقال ، أن القوة العسكرية أو القوة الصلبة لن تنجح في حل الصراعات ما لم ترافقها القوة الناعمة الأميركية التي قضى عليها المحافظون الجدد في عصر جورج بوش[2]. فأعلن أنه سيمد يده للعالم وسيجلس مع خصوم المستقبل، وسينهي احتلال أميركا للدول الأخرى. قد لا يستطيع تنفيذ كل هذه الوعود، لكنها بالتأكيد لامست مشاعرالكثير من الأُسر الأميركية التي بدأت تشعر أن الحروب في العراق وأفغانستان وغيرها من الدول لن تكون نزهة سهلة لأبناء أميركا .

هـ - راهن على الشباب

باراك أوباما هو المرشح الرئاسي الأول في التاريخ الحديث لأميركا الذي راهن بقوة، ومنذ اليوم الأول لحملته الانتخابية على الشباب . أسفرت نتائج الانتخابات أنه فاز بأصوات 66 في المئة من الشباب تحت سن الثلاثين[3].

لم يحدث من قبل أن راهن أي مرشح رئاسي على الشباب بالشكل الذي قدمه أوباما. كان المرشحون لمنصب الرئاسة في أميركا يرون دائماً ، لا يمكن الاعتماد على أصوات الشباب ، لأنهم لا ينتخبون، ولأنهم لا يحبون السياسة ، ولا يشاركون فيها ولا يفهمونها أيضاً.

باراك أوباما أدرك أن الشباب في أميركا يحتاج فقط إلى من يخاطبه بشكل صحيح ، ونجح في استغلال أقرب الطرق إلى قلب الشباب. إنها طريقة الإنترنت[4]، وعبرها استمال الشباب للمشاركة في الانتخابات.

و- أجاد استخدام التقنيات

[1]- غسان سلامة ، اميركا والعالم ، دار النهار للنشر ،بيروت الطبعة الثانية ،2006 ص.400 .

[2]- د. خالد محسن اليعقوبي ،السياسة الاميركية تجاه العراق ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ،2013طبعة اولى ،ص.564 .

[3] - جريدة أخبار الخليج ، العدد : ١١٢١٣ - الخميس ٤كانون الاول ٢٠٠٨ .

[4] - باراك-أوباما-الولايات-المتحدة-خطاب-حالة-الاتحاد-إرهاب-اقتصاد-كوبا, France24.com/ar/13-1-2016

لم ينجح منافسو باراك أوباما في استغلال تلك التقنيات كما نجح هو في تحويلها إلى ماكينة ضخمة لجمع التبرعات، وحشد الأنصار، والتعريف بالمواقف، والرد على الخصوم، وإحياء الأمل لدى الشباب في القيام بدور فاعل في الحياة السياسية الأميركية. لا شك أن باراك أوباما قد نجح في استخدام تقنيات العصر وتطويعها لخدمة الحملات الانتخابية[1].

ز- نجح في الرهان على حسن الخلق

حاول باراك أوباما منذ بداية حملته الانتخابية أن يقدم نفسه للمجتمع الأميركي على أنه إنسان حسن الخلق، وأن السياسة يمكن أن تجتمع مع الأخلاق. لم ينجح في ذلك في كل مراحل الحملة الانتخابية، لكنه نحج نسبياً باعتماد أسلوب جديد لم تعرفه الحياة السياسية الأميركية من قبل، واعتبر ان مدح الخصوم يمكن أن يُكسب الانتصار[2].

نجاح أوباما لا يعني بالضرورة أن مصالح العالم العربي والاسلامي خاصةً ، يمكنها ان تحظى باهتمام أو تعاطف الإدارة الأميركية المقبلة ، أو ربما أن العالم سيحظى برئيس أميركي يحول أميركا إلى بلد متعاون مع الاسلام بشكلٍ افضل . لم يحدث ذلك كما توقع الكثيرون ، في المستقبل القريب. لكن هذه دلالة واضحة على مدى نجاح الكاريزما التي تحلّى بها في الكثير من النواحي.

البند الثاني : الخطاب السياسي وتحقيق الحلم

يتميز الخطاب السياسي بأنه يقوم على عملية الإقناع للجهة الموجه اليها ، بالإضافة إلى تلقي القبول والاقتناع بمصداقيته، من خلال العديد من الوسائل والطرق المدعّمة بالحجج والبراهين، فيجب أن يوظّف الخطاب السياسي الوسائل اللغوية والمنطقية الصحيحة، مع جمل تعبيرية تتناسب وطريقة التواصل مع الأفراد، كالصور والموسيقى بالإضافة إلى استخدام لغة الجسد، مع مراعاة تناسبها مع الموقف والمقام الذي يتم إلقاء الخطاب السياسي على أساسه[3].

ان شخصية اوباما تبلورت منذ أن ساوره الطموح الذي كان يلازمه عندما قرر العمل في الشأن العام، وتدرّجه في العديد من الأعمال الى حين وصوله الى مجلس الشيوخ ، فرئاسة الجمهورية.

---

[1] - http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/publication/2009/04/28

[2]- http://www.alhurra.com/content/obama-mosque-muslim-us-/294483.html

[3] http://mawdoo3.com/_

تختلف خطابات أوباما عمّن سبقه من رؤساء أميركيين من حيث الشكل والأسلوب واستخدام المصطلحات، إذ اعتبره الشعب بأنه حاملاً قضيته الوطنية في الدفاع عن مصالح أميركا الدولة العظمى في العالم دون أن يكون لفئة واحدة (السود) ، مع العلم أنه استطاع "تجييش" الذين لا يؤيدون الحزب الذي ينتمي اليه ، عدا أنه يتمتع بمواصفات القائد الذي يحلم به الشعب.

خطابه دوماً متماسك ومعبّر (فيه الكثير من التعابير الودّية). تعاطف معه السود لأنه طرح قضاياهم . تماهوا معه لأنه عبّر عن تطلعاتهم ، وبه سيعرفون عهداً جديداً ، يُنسيهم زمن الرق والفضل في ذلك يعود الى مارتن لوثر كينغ الذي ألغى جميع أشكال الرق ، وقال بالمساواة بين الشعب الأميركي . حمل هموم وآمال وطموحات السود على وجه الخصوص ، دون أن يقع في الفئوية أو التفرّد (أنا ابن رجل أسود وإمرأة بيضاء)[1] ، بل عرف كيف يجذب كل فئة ويدق على "الوتر الحساس" للفوز بالانتخابات . يعني أنه لبس قضيتهم حقاً بهدف الوصول لأنه يعرف الشعب تمام المعرفة ، ويعرف كيف ومتى يتوجه إليه. فاعتمد على طرق أسهمت في نجاح مسيرته ، ومنها بالأخص الخطاب السياسي المُتقن ، مع بيئة ملائمة ، فتميّز خطابه بما يلي :

1 - <u>جودة الخطاب</u>

لقد شكّل خطاب أوباما عندما كان نائباً عن ولاية الينوي العام 2004 أمام المؤتمر الوطني الديمقراطي[2]، الخطوة الاولى لصعوده وفوزه برئاسة الولايات المتحدة العام 2008 . فكان من الرؤساء الذين يُتقنون استخدام الايحاءات الجسدية، والتوقف المفاجئ، وتغيير نبرة الصوت، ليتغنى بالعبارات، مثله مثل الراحل الحقوقي مارتن لوثر كينغ .

ان قدرته الخطابية نالت اعجاب خصومه قبل مسانديه، حيث أثبت الى حدٍ كبير ان لديه قدرة على تحريك الجماهير وإحياء الأمل والقيم الأميركية وبحثه عن أميركا أفضل، ورفضه لنهج السياسية الأميركية الداخلية ، وكذلك للتشدد والحروب في العالم ، كما اعتمد تقنيات خاصة في خطابه السياسي لا سيما منها الهدوء وعدم الغرور امام جماهير غفيرة وكاميرات التلفاز المتعددة . كل ذلك عبّر عن اتقانه ثقافة سياسية ديمقراطية حرة وكاريزما سياسية مصقولة حظيت باعجاب الجماهير .

---

[1]- باراك اوباما ، أحلام من ابي ، نشرته مجلة هارفارد للقانون ، ترجمة هبة نجيب مغربي وايمان عبد الغني نجم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2012 ، الطبعة الخامسة ، ص . 21 وما بعدها .

[2]- <u>الكلمة_الرئيسية_في_المؤتمر_الوطني_الديمقراطي</u>ar.wikipedia.org/wiki/2004

ان كل هذه المميزات التقنية قامت بدراستها وتحليلها "وحدة تحليل الشخصيات السياسية" في جامعة سان جون الأميركية ، عندما أجرت تحليلاً لخطاب أوباما بيّنت فيها أنه شخصية راغبة في التغيير ويتحلى بقدر من الثقة والطموح والاصرار ، هذا يقود الى شخصية قوية وعملية تحركها ايديولوجية راسخة تكرس جهدها لتغيير المجتمع وفق خطة واضحة المعالم والأهداف، وتكون على استعداد للتعاون والعمل مع كل من يظهر استعداداً على تحقيق تلك الأهداف بقدرته على ملامسة قلوب الجماهير[1].

2- مشهدية الخطاب

لقد صُنّف باراك أوباما من أفضل خمسة رؤساء أميركيين يتمتعون بمَلكة الخطابة (منهم جون كينيدي، فرانكلين روزفلت، رونالد ريغان) ليس فقط في ما يتعلق بمحتوى الخطاب، إنما أيضاً في كيفية تقديم ذلك المحتوى، حيث تُسهم لغة الجسد ونبرة الصوت في إبراز المهارات الخطابية للرئيس. كما أنه الأفضل بين الرؤساء الأميركيين في استخدامه الايحاءات الجسدية، والتوقف المفاجئ، وتغييره نبرة الصوت، انتقاء العبارات[2] .

بعد 46 عاماً من خطاب مارتن لوثر كينغ الشهير"لدي حلم" الذي شق الطريق أمام أوباما ليكون اليوم أول رئيس أميركي أفريقي، ارتفعت آمال العديد من الأميركيين من أصول مختلفة في وصول من يمثّلهم الى مناصب متقدمة . وقد يعود هذا الحلم ليس الى كينغ فحسب بل الى صاحب الحلم الأكبر ابراهام لنكولن .

إن الخطاب الذي ألقاه الرئيس باراك أوباما في فيلادلفيا "نحن الشعب من أجل تشكيل اتحاد أكمل"في 18 آذار 2008 خلال حملته الانتخابية وحين تعرض فيه لموضوع العرق داخل المجتمع الأميركي، أثار"زوبعة" في الأوساط السياسية والاجتماعية والاعلامية حيث اعُتبر أهم خطاب سياسي في تاريخ أميركا الحديث، علماً أنه لم يُشرْ الى السياسة صراحة بمقدار ما كان يهمه ايصال رسالة انسانية "مبطّنة" تحمل في طياتها المعاني السياسية المناسبة بشكل غير مباشر والتي تُمهّد له الطريق الى البيت الأبيض . يماثل في أهميته الخطاب الذي ألقاه الرئيس جون كنيدي في بداية الستينات، يوم تحدث عن مذهبه الكاثوليكي المخالف لمذهب الأغلبية الساحقة من الأميركيين خطاب أوباما هذا ، أثار اهتمام الكثيرين وواصلت الشبكات الرئيسية

[1]- فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب، ترجمة الدكتور طلال وهبه، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2009

[2]- تحليل_خطاب_الرئيس_أوباما_في_جامعة_القاهرة/http://www.academia.edu/13901509

آنذاك "سي.ان.ان" و"ان.بي.سي" و"سي.بي.اس" خلال تلك الفترة، بث فقرات منه ، مركزة على صور بعض الحاضرين ولا سيما وزوجته الذين أجشهوا بالبكاء، وهم يستمعون إليه وقد إستغرق 37 دقيقة، كتبه اوباما بنفسه، وارتجله بطريقة أثرّت على مشاعر الكثيرين، خاصة عندما تحدث عن نفسه: "أنا ابن رجل أسود من كينيا، وامرأة بيضاء من كنساس[1]... تزوجتُ من أميركية سوداء تجري في عروقها دماء العبودية ، ونقلنا هذه الدماء الى ابنتين عزيزتين. لدي إخوة وأخوات وبنات عم، وأبناء عم وأعمام وأخوال وعمات من مختلف الأعراق، يعيشون في ثلاث قارات"، ، في إشارة الى أهله في كينيا وأخته من أب اندونيسي تزوّج أمه، بعد ان هجرها والده الكيني.

3 -القدرة الخطابية

تجلّت قدرته الخطابية في استعادته قصة شعب، وأن يقول بأن الشعب قادر أن يصل الى القمة ، قادر أن يحقق ما يريد ، وقادر أن ينطلق الى البناء من جديد مع كل اشراقة شمس منذ إنهاء زمن العبودية . وكأنه يستعيد في خطابه (الذي ذُكر سابقاً)خلال حملته الانتخابية ذكريات طفولته التي كانت تتجلى برؤية جدته البيضاء وخوفها من الرجال السود والكلام عنهم ، فحفظ تلك الكلمات وانطبعت في شخصيته معالم ناتجة عن تصرفاتها التي لم ينسِها . كل شيء في حياته منذ الطفولة غير المستقرة الى الآن هي بمثابة حكاية لم تنتهِ فصولها بعد. تشبه حكاية أي أسود ممن كانوا يجتمعون في الكنيسة من الطبيب والأم الى الطالب ... للتعبير عما يختلج في داخلهم من الفرح تارة ومن الحزن والألم تارة أخرى. إنها حقاً هذه الكنيسة التي تحتضن فئات السود بكل مشاكلهم وهمومهم وأفراحهم ... وتبرز قدرته هنا على الجمع بين معاناته ومعاناة جمهوره ، همومه وهمومهم ... مبتعداً عن "الأنا" ليتكلم بلسانهم وينطق بما يحبونه ويعيد التاريخ معهم ، فجعلهم يتماهون معه ويسيرون في سياسته ويذهبون لانتخابه دون سؤال . حقاً استطاع أن يقبض على مشاعرهم ونظراتهم لأن هذه الأمور هي التي تدغدغ مشاعرهم ويتعلقون بها لتحقيق هذا الحلم ، حلم المستقبل[2] ، حلم يخاف من العودة الى الوراء...

ركّز في خطاباته على الموضوع الاقتصادي ، وهو قضية مطروحة باستمرار عدا عما كان يراه من فقر مدقع في مجتمعات السود. يهتم بالشيء الذي كان يتمناه سابقاً . يهتم بكل ما يوفر

---

[1] - Barack Obama's powerful speech on race , The Telegraph –word , Thursday 19 March 2008

[2]-استيتية، سمير شريف، اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.

للعائلة العيش الكريم والراحة والطمأنينة لأنه كان يفتقد هذه الميزات قبلاً. ويتحدث عن هؤلاء السود بأنهم جزء من المجتمع الأميركي . إنهم جزء من الحلم الأميركي ، إنهم الرجال والنساء الذين تحمّلوا المشقات بعيداً عن العنصرية. وبدت قدرته الخطابية في إجراء مقاربة بين معاناة السود التي امتدت لسنوات ومعاناة البيض أيضاً لأنهم هم أيضاً يشعرون بالاستياء عندما يخسرون وظيفة ما ، أو أنهم يشعرون بتهديد مستقبلهم من قبل أطراف أخرى، في حين أن لهم الأحقية في ذلك.

4 - <u>بين الأمس واليوم</u>

إن لغة الخطابة، تحولت ، أو بالأحرى اختلفت مقوماتها بين الأمس واليوم . فاليوم لم يعد هناك حاجة لأن يقف الخطيب على منبر لايصال فكرته والسيطرة على عقول الجماهير كما كان يفعل جمال عبد الناصر أو غيره ، فيكفي أن يجلس في تلك الغرفة الصغيرة، ويوجه إليه كاميرا صغيرة فترسل كلامه إلى كل أنحاء العالم حاملاً التأثير ذاته في الجمهور كما لو أن الخطيب يقف وجهاً لوجه أمام جمهوره . إنه عصر الخطابة الحديثة التي تتطلب اعتماد شتى أنواع الوسائل الاعلامية . ويمكن القول أن جمال عبد الناصر مثلاً الذي كان خطيباً في زمانه قد لا يسمعه أحد اليوم . وما كان يُرهب الجماهير آنذاك لم يعد يهمّهم اليوم . إذ يمكن القول لكل زمن خطابه وخطيبه . فمعظم الخطباء الذين عرفهم التاريخ كانت لهم غلبتهم الشخصية الذاتية رغم صورتهم المثالية أمام الجمهور ، فمثلاً ديموستين الخطيب اليوناني الأشهرالذي استطاع قيادة شعبه في كثير من الحروب واستطاع بواسطة خطابه المؤثر أن يغير العديد من القرارات داخل أثينا العاصمة العظيمة، هذه الميزة هي نفسها التي أودت به إلى حتفه في النهاية.

فأوباما الذي له سمات تدل على ملكة الخطابة لديه، ينتمي الى هذا الزمن الذي لم يعد للخطابة المواصفات التي كانت تنطبق عليها في السابق ، لذلك فالمعالجة تختلف بين خطيب من حقبة الستينات وخطيب ندرسه اليوم مع ما يعتمد على تقنيات متطورة لتبلغ صورته الكمال إن في الالقاء أو المظهرأو التعابير المستعملة أو ... إن معظم خطاباته ومضامينها تعود في جزء كبير منها الى ما هو عليه شخصياً ، أي التشابه المتلازم بين الخطيب ونوعية خطابه، فيكون هو نسخةً حرفية عن خطابه، خصوصاً اذا تضمن أموراً شخصية شديدة الحساسية ، فيدلّ على مدى صراحته وشفافيته ربما لكسب ثقة الآخرين وربما لتوضيح وجهة نظره دون أن يكون فظاً تجاه الشخص المقصود.

إن الخطيب اليوم لا يمكنه التأثير في جمهوره اذا كان بعيداً عنه. فالجمهور بات مثقفاً ومفكراً ولديه من المقومات التي تسمح له بحسن الاختيار، ولم يعد ينقاد بسهولة. وبالتالي ينبغي على

الخطيب أن يُتقن الفنون الاتصالية الى جانب الكاريزما لتحقيق الهدف الذي يناضل من أجله . بكلمة، يبقى للخطيب دور ، وللخطاب نكهته وللجمهورمكانته انما يتغير الأسلوب في التعاطي وتقديم المعلومة ، وهذا ما ظهر عند أوباما في قدرته الدفاعية الشخصية عندما قال في خلال مقابلة تلفزيونية في 22 تشرين الأول 2008 على شاشةألـ NBC عن مؤهلاته لتولي مهام الرئاسة " لست متأكداً من أن أي رئيس كان مستعداً لأن يكون رئيساً. لكني أثق في حكم الشعب الأميركي وبصيرته " وكأنه في ذلك يحاول أن يجسّد أحلام الشعي الأميركي وطموحاته فيدعوه الى مناصرته بأسلوب الدعاية الناعمة متخطياً مسألة العرق .

البند الثانى :تحقيق حلم السود

ليس حدثاً عادياً أن يخوض الانتخابات الرئاسية الأميركية مرشح أسود . وليس بحدث عادي أن يكون هذا المرشح منحدراً من أب أفريقي، بل وأن يحمل اسمه الأول المركب مكوّنين أفريقي (باراك) وعربي مسلم (حسين)هذه المواصفات لم تجعل منه المرشح التقليدي ، وكما قال هو أيضاً "حَفَرَت في تكويني الوراثي الجيني فكرة أن هذه الأمة أكبر من مجموع أجزائها، أي أننا رغم كثرتنا فنحن في الحقيقة واحد".
ولوحظ أن الشباب، باختلاف أصولهم وألوانهم السود والبيض ، هم أبرز الشرائح التي دعمت ترشيح باراك أوباما للانتخابات الرئاسية. ما عكس قوة الرمز الذي يحمله الشباب الذين يتطلعون الى عالم جديد تذوب فيه حواجز العرق واللون والتمييز الاجتماعي. والسود يرون في هذا الانتصار الممكن بعض نصرٍ على قرون من الاستغلال بكل أصنافه، من استعباد واضطهاد وتفرقة وإقصاء .
إنه ساهم برد الاعتبار للشعوب الافريقية التي مستها جريمة الرق في إنسانيتها. كما حُرمت في مسار تاريخها من المكانة التي كانت ستحتلها في العالم. انما وبفضل النضال الذي لم يهدأ وصل أوباما واعتلي المنابر وتحدث عن عرقه دون حرج أو ما شابه.

لم ينسَ أوباما نضالات كينغ وظلم وقسوة ووحشية ولاإنسانية العبودية والتفرقة العنصرية حيال السود الأميركيين. ولم ينسَ النص الذي اعتمده مجلس النواب "يقدم اعتذاراً للسود الأميركيين باسم شعب الولايات المتحدة عن الأذى الذي تعرضوا له" بموجب قوانين الفصل العنصري المعروفة باسم "قانون جيم كرو" وعلى "ما عاناه أجدادنا من عبودية." كما إنها لحظة تاريخية في "كفاحنا من أجل الحقوق المدنية في هذا البلد"، ولم ينسَ نظام العبودية الذي لم يلغَ رسمياً في الولايات المتحدة سوى في العام 1865 .

حاول اوباما إستغلال هذا التراث العظيم ليأخذ مكانه بين عظماء الرؤساء الأميركيين. سيما وانه ينتمي إلى الولاية ذاتها التي انتمى إليها لنكولن ، هذه الولاية التي وقّع قادتها على إعلان تحرير العبيد . وهي خطوة كبيرة أوصلت مواطني الولايات المتحدة إلى انتخاب أول رئيس أميركي من أصول أفريقية، لذلك فهو يحاول استدعاء روح ابراهام لنكولن وطريقته في إدارة العملية السياسية لتحقيق الحلم .

الى ذلك ، فإن أسلوبه في الخطابة بليغ ومميز، دقيق بعباراته ، بعيدٌ عن النمط التقليدي الذي عرفناه مع الخطباء خلال التاريخ [1] .وسيكون له في سجل تاريخ رؤساء الولايات المتحدة وقفة جديرة لشجاعته لكونه الرئيس الأسود الأول الذي يدخل البيت الأبيض ؛ بالرغم من وجود دستور يحمي الحريات والمساواة وحقوق الانسان .

خلاصة واستنتاج

تميّز شعب اميركا ببناء نظام سياسي ليبرالي يؤمن بالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة ، ويحافظ على الإستقرار السياسي فيها ،مع التطور اللافت للاعتراف بحقوق الاقليات ،فأصبحت هذه الدولة نموذجاً أساسياً لغيرها. وشكّلت الاحزاب(حزبان كبيران يتداولان السلطة لفترة طويلة) فيها جزءاً من التوسع نحو الديمقراطية، ومع حلول ثلاثينات القرن التاسع عشر كانت هذه الاحزاب قد أصبحت جزءاً راسخاً بصورة ثابتة في الحياة السياسية. ويعتبرتوماس "جيفرسون انها ارض مهيئة للجنس البشري ، ولها سمات شكلت حوافز لجذب المهاجرين من اوروبا وغيرها مثل ، الثقافة الاميركية والفرص الاقتصادية وميثاق الحقوق ، واعلان الاستقلال الذي جسّد حقيقة ان جميع الناس يولدون متساوين" ؛ ولكن في الماضي كان هناك واقع مأساوي تعرضت له الاقليات عبر التاريخ في أميركا ، وخاصة السود منهم ، يتناقض مع واقعهم الحالي المُريح . لأن هذه الفئة تدرّجت في نيل حقوقها الاساسية ، كالعدالة والمساواة ، وفق تواتر تاريخي معين . وفي الحقيقة ، هناك ميزة إجراء سن قوانين صارمة تكبح من تحويل النظام الديموقراطي الى نظام في يد من يملك المال مثل الشركات الكبرى، وذلك على حساب مصالح المواطن العادي. وبالإضافة الى سن القوانين ضد اي مخالفة محتملة ، تشكلت منظمات مدنية متخصصة في نشر سجل كل عضو في الكونغرس مع قوى الضغط تلك ، كما يمارس

[1]- Gerstle, Jacques, la communication politique ,deuxième édition,1993

الإعلام دوراً مماثلا. وبين الفترة والأخرى يتم كشف احد اعضاء الكونغرس متلبساً برشوة ليقضي بعدها بضع سنوات خلف القضبان، وتنتهي معها علاقته مع السياسة الى الأبد. ان دور الإعلام هذا في نظام ديموقراطي كالنظام الأميركي، هو رقابي بشكل أساسي، لا مكان فيه لتمجيد أي متسلّط او مؤسسة عامة، بل يطغى الجانب النقدي التحليلي الموضوعي المستند الى الحقائق على ما يقال وينشر. وهذا الدور المؤثر للإعلام كسلطة رابعة يحميه البند الأول من الدستورالأميركي والمتعلق بحرّية التعبير وحماية الصحافة. كل ذلك يساعد اي مواطن يملك الكفاءة في الوصول الى السلطة بصرف النظر عن عرقه ، دينه ، لونه ، معتقداته ، مجتمعه الخ...

كون الرئيس في اميركا هو أقوى رجل في الدولة وهو زعيم الأمة المنتخب. حيث أراد واضعو دستور 1787 في مؤتمر فيلادلفيا أن يكون الرئيس قوياً ليس فقط بانتخابه عن طريق الشعب ومندوبي الشعب، بل بسلطته وامتيازاته الدستورية . فهو رئيس السلطة التنفيذية اسماً وفعلاً ويمارسها بنفسه ، ووزراؤه ليسوا سوى كتّاب دولة تابعين له ، وليس لهم استقلال عنه. فهو القائد العام للقوات المسلحة بما لذلك من أهمية في أميركا . فهو يضع السياسة العامة للدولة في الداخل والخارج ، اما الوسيلة التي ينتهجها لبلوغ الرئاسة ، فتتم بواسطة تأييد الحزب والشعب والمندوبين له ، كونه رئيساً منتخباً من الشعب ، له الحرية باعتماد السبل التي تضمن وصوله للرئاسة بمساعدة حزبه واقناع الشعب لتأييده .

وعليه، ان باراك أوباما عرف كيف يُخيط مشهدية تفاعلية مؤثرة بينه وبين جمهوره، بدلالات رمزية، أوضح لكل الشعب الأميركي أنه متميز ليس بالعرق انما بالثقافة والفكر ... وأنه يحمل التغيير لكل أبناء هذا المجتمع نحو مستقبل أفضل يسوده الرخاء والطمأنينة . استطاع اقناع جمهوره، أن الوحدة هي خلاصهم ، وان الاتحاد هو الطريق الى الكمال .

كان هدفه الحصول على أصوات كل الشعب الاميركي ،وخاصة السود منهم وأصوات من كانوا يلقونهم في الشوارع والأماكن العامة ودور العبادة ...كان بحاجة الى هذا "الحشد" لكسب الرهان. عرف جمهوره جيداً ، فكان الى حدٍ ما صادقاً وصريحاً ، وكأنه يعبر بهم الى مكان آخر ، نحو جمهور أوسع ومشهدية متشابهة .

تفاعل الجمهور معه الى الحدود القصوى. وكان يستحضر طفولته وما عاناه بسبب عدم الاستقرار في منزل عائلي واحد . هناك أيضاً الرعاية الصحية والمدارس والمعونات وغيرها التي لا تفارق مخيلته دون أن يكون لها الأثر السلبي في حياته. ناضل منذ دخوله ميدان العمل

للوصول الى هذه المرحلة ، مرحلة الوقوف أمام جمهور مختلف في الأعراق انما تجمعه قومية وطنية أساسها الديمقراطية والحرية.

ويمكن القول أن هذا الخطيب أثّر في نفوس المُتلقّين ، تحدث إليهم بصفاتهم وألوانهم ومشاكلهم وهمومهم ، تفاعل معهم وتفاعلوا معه . تماهوا معه فتماهى مع ما يشدهم الى القضية- الأم. دعاهم الى فتح صفحة جديدة من الحرية لعهد جديد ورؤية جديدة . توجه إليهم ، فهو يعرفهم عن كثب، لذلك كان لكل كلمة وقع عندهم ، فأتقن لغة الخطابة السياسية ، وكذلك فن الكتابة التي زادته تأثيراً ، فكان المؤلف، المثقف ويجيد الفكر والابداع عند الحاجة ، ما اعطاه فرصة نجاح مميزة... فانتخبوه. وساعده على ذلك نظام اميركي ليبرالي حر يتمتع بقسطٍ وافر من الحرية والديمقراطية .

خلاصةً ، أن للبنى الاجتماعية دوراً مهماً في تقرير السياسات العامة للدولة ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى أن تكون طبيعة تلك البنى قائمة على قدر من التجانس والانسجام ، وتكون علاقتهما مع النظام السياسي متوافقة . وهذا يعني أن السياسات العامة في اميركا موجهة لخدمة وتحقيق متطلبات المجتمع ، والتقريب بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، وتحقيق حالة التوازن داخل المجتمع ؛ بالرغم ما حدث ضد الاقليات السود من غبن ومظالم في اميركا ، ما يفسح المجال امام الجماعات والافراد لتحقيق طموحاتهم وأحلامهم ؛ هذا ما ساعد الرئيس الاميركي باراك اوباما في مسيرته بالاضافة الى كونه يتمتّع بشخصية ومميزات ذاتية أعانته على ذلك .

فالنجاح او الفشل في قيادة اميركا بعد تبوئه سدّة الرئاسة لم تكن في صلب بحثنا هذا ، لذلك لم نتطرق اليها .

أخيراً يمكن القول :ان نضال شعب بقيادة شخص ، أو مجموعة منسجمة يتمتعو بمزايا وكفاءة عالية ، في ظل نظام سياسي ليبرالي ، مع ذهنية مجتمع منفتح على التطور وملتزم بالقوانين المحددة ، ذلك يوفر عوامل تتضافر ، فتعطي نموذجاً ناجحاً ومقبولاً نسبياً في الوصول الى السلطة .